ملحق اسبوعي 8 صفحة
رئيس مجلس الادارة رئيس التحرير فخري كريم
العدد (4632) السنة السابعة عشرة الاثنين (16) آذار 2020
www.almadasupplements.com

# ذاكرة عراقية

# حقيقة بيان الجنرال مود الى اهالي بغداد

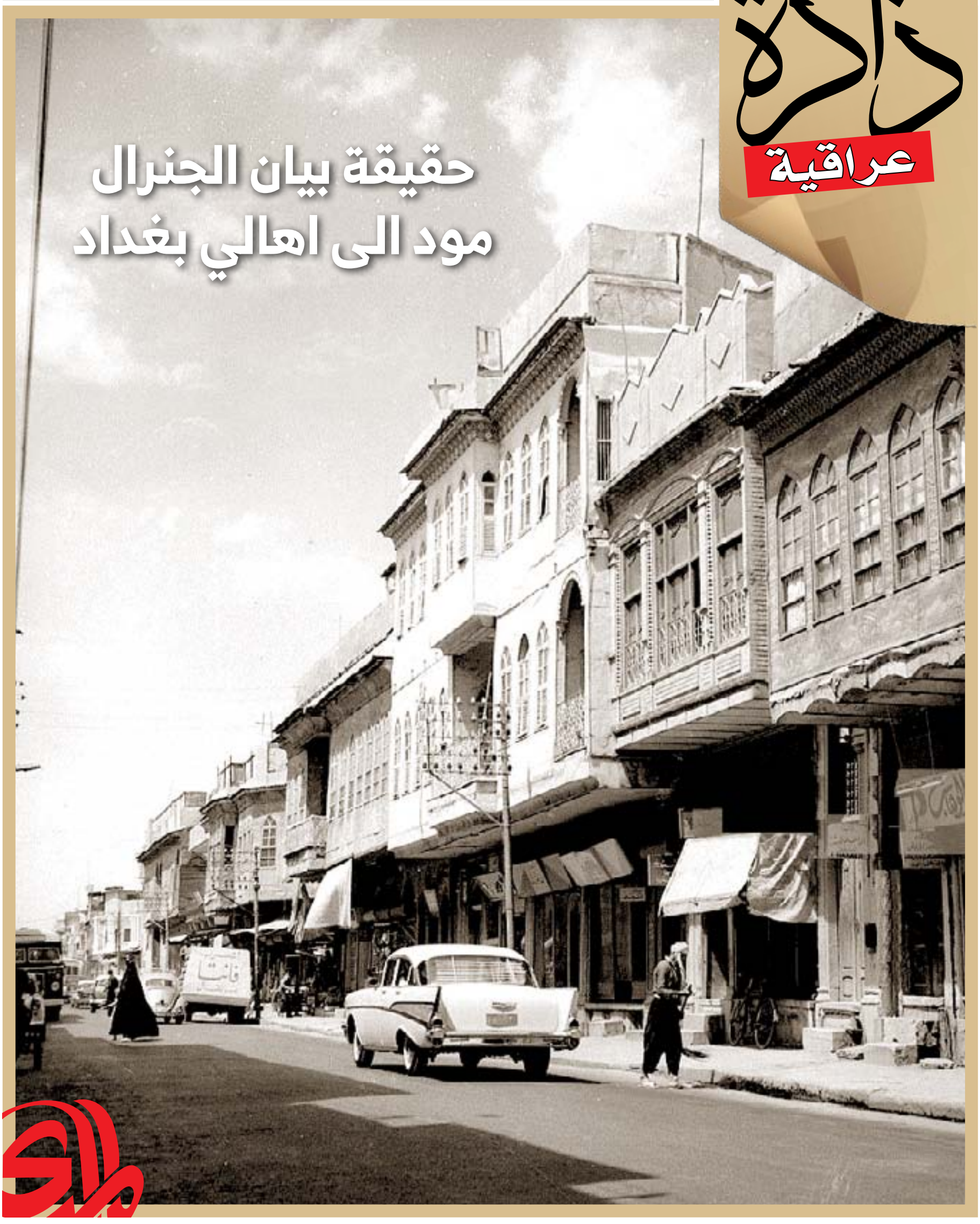

## عندما حاول جمال باشا (السفاح) اغلاق مدرسة الحقوق

# ذكريات الدفتري تكشف الحقيقة

إن اقبال الطلبة على الالتحاق بمدرسة الحقوق التي عُدّت في تلك المدة منبراً للعلم والثقافة، وأداة مهمة لنشر الوعي الوطني، كان له دور مهم في صياغة الوعي الثقافي والقانوني والاجتماعي والسياسي في المجتمع العراقي، ذلك الدور الذي سرعان ما أدركه الاتراك عندما شعروا بالخطر خوفاً من المطالبة بحقوق العرق، وقطع الصلة بين استانبول والعراق.

تغريد عباس السعدي

ويبرز ذلك الخوف أهمية المدرسة في تنبيه الآراء، وتوجيه الافكار لدى الطلاب نحو اللامركزية، والأبلغ من ذلك ان تأثر الطلاب مباشرة بأفكار وطموحات "الحزب الحر المعتدل" البصري، الذي كان فرعاً لـ "حزب الحرية والائتلاف"، الذي تألف في استانبول بوصفه حزباً معارضاً للاتحاد والترقي، مما اوجد له صدى واسع بين الزعماء العرب، سواء في استانبول او في الولايات العربية؛ كونه منافساً لسياسة الإتحاديين، واتخذ شعار "الاقطار العربية للعرب" وأيد اللامركزية في الدولة العثمانية.

والأهم من ذلك انه كان لتأثر طلاب مدرسة الحقوق في بغداد بأفكار الحِزب الحر المعتدل أهمية تكمن في أنه كان مستقلاً في وحدته وكيانه عن حزب استانبول، وترتكز مبادؤه على انصاف العرب، وإسترجاع حقوقهم، والمطالبة بما يعود على البلادِ العربية بالخير، ويقارع الاتحاديين، ويضع حداً لمظالمهم، وفق صياغة معتمدة، وان كل ذلك كان يمثل أهداف الوطنيين "الطلاب"، في ذلكِ الوقت، وقد عدّت السلطات هذا الامر نشاطاً سرياً سياسياً بين الطلاب.

ان ما سبق عرضه كان سبباً مهماً لدفع الوالي جمال باشا، الى التخطيط لغلق مدرسة الحقوق بعد توليه ولاية بغداد في ٢٦ آب ١٩١١، وكانت حجته في ذلك ضعف مستوى التدريس فيها، غير انه في الحقيقة لم يكن يرغب في "أن يكون للعراق مكتب يتعلم فيه العراقيون الطرق القانونية"، التي كانت من شأنها أن تنبه أذهانهما الى المطالبة بحقوقهم القومية في المستقبل، وهذا بالفعل ما كان يتوقعه جمال باشا.

أثار قرار جمال باشا رد فعل كبير بين المثقفين واعيان بغداد والمدن الأخرى، لا سيما بين طلبة مدرسة الحقوق انفسهم الذين مارسوا نشاطاً واسعاً مهماً في جميع أبعاده، سواءً من حيث اساليب العمل التي مارسوها، او من حيث الاهداف التي أثاروها، وفي الواقع فإنه حدث في المدرسة اشبه مايكون بإضراب طلابي، إذ اصبح الطلاب "في هياج شديد، وإستمرت حالة الفوضى وعدم الالتزام"، هذا ماورد على لسان محمود صبحي الدفتري في جريدة الاهالي:

وقبل كل شيء اتخذ طلاب المدرسة قراراً يقضي بتأليف وفد طلابي يقابل الوالي جمال باشا، يتألف من ثمانية طلاب، اثنين من كل صف وشعبة الاحتياط، لكنّ الوالي رفضَ استقبالهم، وعلى اثر ذلك قرر طلاب الحقوق عقد اجتماع في دار لطف راقم، وهو من طلاب المدرسة، حيث "امتلأت الدار بالطلاب وعلت فيها الضوضاء والخطب الصاخبة" كما يقول محمود صبحي الدفتري وهو شاهد عيان، ثم قرر المجتمعون تخويل لجنة الثمانية من اجل إتخاذ ما يلزم للتعامل مع موقف الوالي.

عقدت اللجنة إجتماعها بصورة سرية، وهذه المرة في بيت الطالب محمود صبحي الدفتري، وعلى ما يبدو ان الشرطة كانت تراقب نشاط طلاب الحقوق وتحركاتهم، لذلك قررت اللجنة تأليف تنظيم خاص باسم "جمعية حقوق بغداد"، والعمل على اضفاء صفة قانونية عليها، لذلك وضعت لها نظاماً اولياً، وأجّروا بواسطة "مختار محلة" داراً لتكون مقراً لها، وقرروا تقديم طلب خاص للوالي باسم اعضائها، وبوصفهم الهيئة المؤسسة للجمعية، وجاء في الطلب ما يأتي، على حد رواية الطالب محمود صبحي الدفتري:

"نحن الموقعون أدناه، قررنا تأسيس جمعية باسم جمعية الحقوق في بغداد، غايتها تأكيد حقوق الدراسة، والمحافظة على كيان المدرسة، وحقوقها العلمية والإدارية، نقدم الى دولتكم في طيه منهاج الجمعية المذيل بختمها القانوني، وقد اتخذنا الدار الواقعة في محلة الحيدرخانة والمرقمة برقم كذا، مركزاً لجمعيتنا، نرجو التفضل بإجراء ما يلزم لمنح الاجازة اللازمة في هذا الشأن".

حمل الطلب اثنان من أعضاء لجنة الثمانية الى الوالي جمال باشا، وقد ابلغ الوفد بأنه سوف يباشر بأعمال الجمعية خلال (٤٨) ساعة من تقديم الطلب، وقد استقبلهما هذه المرة الوالي وذيل الطلب بموافقته، وأوعز الطلب الى مدير الشرطة، والى مدير المعارف حسب النظام، وعلى حد تعبير الدفتري، ان هذا الامر أحدث "رجة عنيفة في البلاد"، وبعدها نهض وسلم الطلب الى الطالبين، واخذ يقول حسب رواية الطالب محمود صبحي الدفتري:

"اهنئكم على اقدامكم هذا، وادعو لجمعيتكم بالخير والتوفيق، واني مستعد لقبول رئاستها الفخرية، وراجعوني كلما لاقيتم صعوبات وعراقيل في تنفيذ المشروع".

أثمرت هذه الضغوط والجهود وحققت نجاحاً مشهوداً، حيث تراجع الوالي جمال باشا بعد أن تلقى توجيهات واضحة بصدد الغاء قرار غلق المدرسة من استانبول، وقد طلب الصدر الاعظم منه أن يخبر "الحزب الحر المعتدل" في البصرة لا سيما بأن يتخلى عن فكرة غلق مدرسة الحقوق ببغداد، ويروي لنا الاب "انستاس ماري الكرملي على صفحات "لغة العرب" قصة تراجع جمال باشا على النحو الاتي:

"كان في نية حضرة والينا جمال بك أن يلغي مكتب الحقوق في بغداد بوسائط تهون هذه الضربة على اهل المدينة، لكن لما رأى في العرب من المدافعة التي لا تنكر، وان هذا الإلغاء سوف يخلق سوء عقبى، عدل عن فكرته الاولى، واليوم يجري المكتب على مألوفة عادته".

أما ردود الفعل على هذا الامر فقد كانت كثيرة، منها ماقام به السيد طالب النقيب نائب البصرة بمراجعة الجهات المختصة، إذ أرسل الى طلبة مدرسة الحقوق برقية جاء فيها:

"أن الايدي التي تمس مدرسة الحقوق تقرر إستئصالها من جذورها".

أما موقف الصحافة، فقد كان شيء يُفتخر به، حيث ذكرت جريدة "صدى بابل" ما نصه:

"بلغنا أن فّي نية نظارة المعارف إلغاء مكتب الحقوق في بغداد في أول العام الجديدة، وقد ساءنا هذا الخبر جداً، وساء كل وطني لا يهمه الا تقدم وطنه بالمعارف والفنون والاداب على ما تؤمله الامة افتتاح مثله في كل ولاية لإنتشار التقدم، فإلغاء هذا المكتب الذي اخذت تنبع اثماره، بل دنا اجتنائها مما يوهم ثقتها بالتقدم والنجاح".

"ومهما يك من امر او داع، فليس في ذلك من اصابة او ترجيح، بل هو رأي غير مصيب".

تجسدت ابعاد حركة احتجاج طلبة مدرسة الحقوق لا فقط من خلال تراجع السلطة بخصوص غلق مدرستهم، بل من خلال السياسة الجديدة التي تبناها الوالي جمال باشا في تعامله معهم، فإنه عرض على مؤسسي (جمعية حقوق بغداد) كما اسلفنا أن يكون هو الرئيس الفخري لجمعيتهم، وانه أبدى رغبة في زيارة المدرسة شخصياً، وسجل لنا محمود صبحي الدفتري بهذا الصدد ما يأتي:

"أراد الوالي أن يصلح مابينه وبين الطلاب، فطفق يجس نبض التلاميذ لمعرفة ما إذا كانت المدرسة ترحب بإستقباله استقبالاً ودياً عند زيارته لها، ولكننا تمسكنا بشدة في أن تكون الزيارة رسمية يقوم بها الوالي متى شاء بدون أن يتلقى من الطلاب، او من ممثليهم اي خطبة ترحيبية، وانتهى الامر عند هذا الحد".

تحولت مدرسة الحقوق الى مؤسسة مرموقة ومؤثرة في بدايات القرن العشرين، بعد أن أثارت مهنة المحاماة في بداية ظهورها في العراق قبل ذلك التاريخ بأقل من نصف قرن إستياء الناس، وشكل هذا الامر تحولاً مهماً في إطار الصراع بين القديم والحديث لصالح الاخير منهما، ولم تتوقف عملية التحول المهمة هذه إلا بسبب نشوب الحرب العالمية الاولى ١٩١٤، إذ أغلقت مدرسة الحقوق أبوابها على اثر ذلك، بعد أن بلغ عدد المتخرجين فيها الى ذلك الحين حوالي (١٥٠) طالباً، ومنهم (محمود صبحي الدفتري، وحسن رضا، وعبد الوهاب شاكر، وعبد العزيز الخياط، ومحمد حسين البزركان، وحمدي صدر الدين، وقاسم ثروت، وناجي الزهاوي، وكمال الشامي، ومحمود جلال، وعبد الله صائب، وعبد الرزاق الروشيدي، وعبد المجيد ال جميل، وعبد الحميد الشيخ علي، ومحمد حسن كبة، وعبد الله الشاوي، ورؤوف الجارجرجي، ونوري القاضي، ومحمد زكي، وعطا الخطيب، وغيرهم) ممن تلقوا وظائف مهمة في مرحلة تأسيس الدولة العراقية فيما بعد.

أما الطلاب الذين كانوا في الصفوف الاخيرة من مدرسة الحقوق، وأكملوا الدارسة فيما بعد نذكر منهم، (إبراهيم كمال، ومحمد علي محمود، وإبراهيم زهدي، وأحمد سامي، حسن سامي تاتار، وعباس العزاوي، ويوسف لوقا، وإبراهيم الواعظ، ومحمد صدقي، وتوفيق النائب، وداود السعدي، وحوكي عنبر، وخلوصي الناصري، ومصطفى الخليل، واحمد طه، ومجدي النائب، وعبد الجبار جميل، وكامل سعيد، واحمد نيازي، وشوكت السعدي، ومكي الاورفلي، وعبد الجبار التكرلي، وسليم معروف، واحمد الراوي، وعبد الرزاق القاضي، ومصطفى العمري، ومحمود خيري النائب، وخليل مردان، وعبد القادر جميل، وتوفيق فكرت، وفهمي نصرت، وحسين جاهد، وعبد الوهاب أفندي، وغيرهم) ممن تحول جلهم الى اسماء معروفة على الصعد السياسية والإدارية والفكرية فيما بعد.

***عن: رسالة (كلية الحقوق العراقية (1928-1958م) دراسة تاريخية)***

## كيف كان العراقيون يواجهون الامراض؟

# الطب الشعبي في أوائل القرن الماضي

عانى المجتمع العراقي بصورة عامة من امراض مختلفة حاول معالجتها بشتى الطرائق المعروفة ، وبمختلف الوسائل المتاحة ، كان من اهمها الطب الشعبي ، الذي مثل المحاولات الاولى في علاج الأمراض ، وكان دليلاً على علاقة الانسان بالطبيعة ، ومدى تأثره بعقائده وعاداته وتقاليده التي امتدت اليها الخرافات والأوهام في بعض الاحيان.

د. عباس فرحان الموسوي

لم يقتصر الطب الشعبي على التداوي بالاعشاب لمعالجة الامراض وانما استعملت فيه ادوية متنوعة مختلفة ( معدنية وحيوانية ونباتية ) والنباتات لا تقتصر على الاعشاب بل اشتملت على مختلف انواع النبات الطبيعي ، فضلاً عن ( جذره وساقه وورقه واغصانه وثمره وبذرته وقشرته وعصارته ). ويدخل فيه الدعاء والطلاسم والسحر والخرافة.

وظهر في بغداد اطباء يمارسون الطب القديم. ولكننا تمسكنا بشدة في أن تكون الزيارة رسمية يقوم بها الوالي متى شاء بدون أن يتلقى من الطلاب، او من ممثليهم اي خطبة ترحيبية، وانتهى الامر عند هذا الحد".

تحولت مدرسة الحقوق الى مؤسسة مرموقة ومؤثرة في بدايات القرن العشرين، بعد أن أثارت مهنة المحاماة في بداية ظهورها في العراق قبل ذلك التاريخ بأقل من نصف قرن إستياء الناس، وشكل هذا الامر تحولاً مهماً في إطار الصراع بين القديم والحديث لصالح الاخير منهما، ولم تتوقف عملية التحول المهمة هذه إلا بسبب نشوب الحرب العالمية الاولى ١٩١٤، إذ أغلقت مدرسة الحقوق أبوابها على اثر ذلك، بعد أن بلغ عدد المتخرجين فيها الى ذلك الحين حوالي (١٥٠) طالباً، ومنهم (محمود صبحي الدفتري، وحسن رضا، وعبد الوهاب شاكر، وعبد العزيز الخياط، ومحمد حسين البزركان، وحمدي صدر الدين، وقاسم ثروت، وناجي الزهاوي، وكمال الشامي، ومحمود جلال، وعبد الله صائب، وعبد الرزاق الروشيدي، وعبد المجيد ال جميل، وعبد الحميد الشيخ علي، ومحمد حسن كبة، وعبد الله الشاوي، ورؤوف الجارجرجي، ونوري القاضي، ومحمد زكي، وعطا الخطيب، وغيرهم) ممن تلقوا وظائف مهمة في مرحلة تأسيس الدولة العراقية فيما بعد.

أما الطلاب الذين كانوا في الصفوف الاخيرة من مدرسة الحقوق، وأكملوا الدارسة فيما بعد نذكر منهم، (إبراهيم كمال، ومحمد علي محمود، وإبراهيم زهدي، وأحمد سامي، حسن سامي تاتار، وعباس العزاوي، ويوسف لوقا، وإبراهيم الواعظ، ومحمد صدقي، وتوفيق النائب، وداود السعدي، وحوكي عنبر، وخلوصي الناصري، ومصطفى الخليل، واحمد طه، ومجدي النائب، وعبد الجبار جميل، وكامل سعيد، واحمد نيازي، وشوكت السعدي، ومكي الاورفلي، وعبد الجبار التكرلي، وسليم معروف، واحمد الراوي، وعبد الرزاق القاضي، ومصطفى العمري، ومحمود خيري النائب، وخليل مردان، وعبد القادر جميل، وتوفيق فكرت، وفهمي نصرت، وحسين جاهد، وعبد الوهاب أفندي، وغيرهم) ممن تحول جلهم الى اسماء معروفة على الصعد السياسية والإدارية والفكرية فيما بعد.

***عن: رسالة (كلية الحقوق العراقية (1928-1958م) دراسة تاريخية)***

عرفوا بممارستهم " للدجل والشعوذة " في المجتمع البغدادي ، ينادي بصوت جهوري في الشوارع " فتاح فال – عداد نجم " ويقوم بكتابة التعاويذ والحجابات ورد المظالم وابطال السحر والحسد وفض المنازعات وفك الزوج المربوط ورجوع الغائب والمحبة وغيرها ، بخطوط غير واضحة او بكلمات غير مفهومة ويفرض اجور نقدية وعينية لا سيما الدجاج والصابون والسكر والشاي لكي يعزم عليها الجن [ حسب ادعائه ] بعد ان يعرف اسم من يريد الفال واسم امه ، على الرغم من ان هذه الوسائل لم ينزل الله بها من سلطان وهي لغرض ابتزاز الاموال بطرق سهلة وسريعة لكنها كانت مهن مقبولة اجتماعيا لدى الفئات البسيطة الساذجة التي تؤمن بما يقوله هؤلاء المشعوذون لا سيما في المناطق الشعبية من بغداد .

يعالجون مختلف الامراض وبعضهم يفعل ذلك مجاناً لا سيما في المناطق الشعبية. فقد كان الحلاقون والعطارون والعرافون والكحالون والحجامون ورجال الدين والسادة والمشايخ وكبار السن والقابلات والسحرة والدجالون والمشعوذون هم طبقة الاطباء والجراحين.

برز في المملكة العراقية عامة وفي بغداد على وجه التحديد عدد كبير من الحلاقين الذين مارسوا مهنة الطب الشعبي وكانوا يقومون بختان الاولاد. وقلع الاسنان ومعالجة الجروح وتضميدها وازالة بعض النتوءات مثل الشامات بكيها بالتيزاب وبعضهم يقوم بالقراءة ومعالجة المصابين بالقرع وتفجير الدمامل وتربية دود العلق مع قليل من الماء في (كيزان الفخار) وتستعمل لغرض امتصاص الاورام المتقيحة وذلك بعد وضع الدودة فوق " الدمبلة " فتقوم بامتصاص الدم وتسقط بعد امتلاء جوفها وبعضهم يعيد استعمالها مرة ثانية بعد عصرها عصراً خفيفا.

وكان للعطارين اثر كبير في معالجة الامراض بفعل الممارسة الطويلة والتعامل ( بالمواد العطارية ) السائدة آنذاك إذ اكتسبوا خبرة في وصف وجمع مواد الادوية الشعبية وجمعها لمعالجة بعض الامراض. ومارس العرافون [ العرافة] مهنة الطب الشعبي باستعمال الكي بوساطة قضيب صغير من الحديد او مسمار او منجل بعد ان يحمى بالنار يكوى به المريض الذي يشكو من آلام الظهر او بوساطة قطعة من القماش (عطابة) يشعل راسها ويطفأ ويستعمل عند الجروح والدمامل وعرق النسا وصداع الرأس.

وقام رجال الدين والسادة والشيوخ بعمل الاطباء بقراءة الأدعية. والآيات القرآنية الكريمة او بوساطة ( التنشير على المريض بالبخور او بقدح الماء ) بعد قراءة الأدعية عليه وإعطائه للمريض. وقد أورد خيري العمري مثلاً معبراً عن ايمان بعض الناس بجدوى هذه المعالجات وقدرة رجال الدين على الشفاء من الامراض ، إذ يذكر ان وزير الصحة محمد مهدي بحر العلوم في الحكومة العراقية المؤقتة عام ١٩٢٠ نصح اقاربه الذين قصدوه طالبين منه التوسط لدى احد الاطباء البريطانيين ليعالج مريضهم ، بان يراجع " الملا جواد " الذي يعالج الامراض بالأدعية .

ويعد ( فتاح الفال ). اكثر هؤلاء المتطببين الذين ويشير الملا عبود الكرخي. وهو شاهد عيان معاصر لتلك الحقائق – الى اسماء جمهرة كبيرة من أولئك الأطباء والحكماء بشعره الشعبي قائلا :

ومحمد ابو الفينة طبيب القوم
وسلمان بن باقر واحمد وعاشور
والمرزه علي وحاج فرج فاهم
وابو نشعه علي وسيد ابو القاسم
وابن سيد ربيع الحلي و افرايم
والجدة الحكيمة ريمة بنت سرور .

واثرت العادات والتقاليد في العلاج الشعبي ، فقد وضع بعض البغداديين المعلقات على ابواب بيوتهم كراس الغزال واباريق الخزف ذات اللون الاخضر لطرد الارواح الشريرة. وبهذا الصدد يشير بعض المؤرخين الى اعتقاد السذج من البغداديين والبغداديات بمعجزات طوب ابو خزامة ، اذ انهم يشعلون الشموع حوله ويتبركون به. وتقوم القابلة (الجدة) بحمل المولود الجديد في يومه السابع وتدخله في فوهته ثلاث مرات ثم تذهب به الى المصبغة حيث يقوم الصباغ بوضع بعض النقط على قطعة خاصة بالطفل ثم تذهب به الى محل السجناء ثم الى المدبغة والى الثكنة العسكرية لاخراجه من تحت السلاح ثم الى الجوبة ( مكان بيع الماشية ) وتعود به بعد ذلك وهي فرحة مسرورة. وقد ذكر الكرخي بعض معتقدات العامة من سكان بغداد وما فيها من خرافات واساطير فعلى سبيل المثال قيام الام بحمل سعفة طويلة بعد ان تضرم النار بها بهدف معالجة طفلها المصاب بالحمى وتسير بها نحو النهر. فاذا انطفأت في منتصف الطريق كانت نذير شؤم بموت الطفل قائلا :

الرجعية اذ مكوعها تورط
بصخونة وحرارة مهلكة وانحط
تشعل سعفة من مهجوهها للشط
جبارة طويلة أطول السعفات.

ويمكن القول ان العادات والتقاليد قد أثرت في تحديد تخصص الاطباء بالامراض النسائية لعدم وجود العدد الكافي من العنصر النسوي المتخصص في هذا المجال فقد كان الموت بمرض حمى النفاس امرا طبيعيا لجهل الأمهات الحوامل والقابلات وانعدام النظافة وعدم وجود اللقاحات الضرورية للطفل الذي يترك للقدر وعناية الله ، وحاول الاطباء الشعبيون معالجة امراض المرأة المختلفة لا سيما الحساسية والآلام الداخلية التي تسمى مرض الحرارة (بالعشبة والجوبجيني). بعد قليها بالماء ثم شربها بشرط ان يحافظ على الهدوء وان لا يقوم أي احد بازعاج المريض خشية ان تنقلب الاية ويحصل ضرر الدواء بدلا من نفعه حسب اعتقادهم.

وعالج الطب الشعبي مختلف الامراض التي عانى منها المجتمع البغدادي على سبيل المثال لا الحصر الروماتيزم وآلام المفاصل وتشنجات الاعصاب والضعف الجنسي والاكزيما والبواسير وتساقط الشعر وامراض المعدة. واستعملوا سعف النخيل والواح الخشب واللفائف في تجبير كسور الارجل والايادي ، وقد برع في هذا المجال خليل الحويشاوي وابناؤه استعملوا زيت سمك الجري وبطن سمك الشبوط ودهن الكوسج وزيت الزيتون لمعالجة كسور العظام بمختلف انواعها.

ووضع الاطباء الشعبيون الوصفات الطبية القديمة لكثير من الامراض ، فتناقلها الناس بالوراثة او عن طريق التجارب لامراض الحمى والشلل والعيون والاسنان والقلب والرأس والكلي والجلد والطاعون والملاريا ، وقد اشار الكرخي الى قسم من هذه الامراض قائلا :

الملاريا باردة يسمونها في الحال
ذبوًا عالمريض جلال مال زمال
واذا وجعته الكلية شوية مسلوكة
واذا جارت عليه يحموله طابوكة
اذا جارت على المرأة او الرجال
واكله شوربة من تمن المخمور
طماطة وفلفل احمر ريوكه
الحكيم يكول خاصرته عليه اتجور

***عن: كتاب (الحياة الاجتماعية في مدينة بغداد 1939 -1958)***

## مع عبد الكريم قاسم في جولة في بغداد

# كيف أختمرت فكرة نصب الحرية والجندي المجهول؟

تم اللقاء مع الزعيم في جامع أبي حنيفة، حيث كنت انتظر مجيئه وعند اللقاء به وضحت له ان التصميم الجديد سوف لن يؤثر على التكوين العام للجامع، اكد لي من جانبه وجوب مراعاة عدم تأثر المعالم. وبعد انتهاء هذه المهمة استدعاني إلى مكتبه في وزارة الدفاع وطلب مني ان أرافقه للكشف والاطلاع على سير العمل في المشاريع التي كانت قيد الانشاء ومنها مواقع الجسور الخاصة بقناة الجيش.

**د. احسان شيرزاد**

كان هـذا اللقاء في شهـر رمضان أواخـر آذار ١٩٥٩ في يـوم ممطـر ويبـدو ان الزعيـم انتبـه أخـيرا إلى موعد الافطـار، حيث أمر بالرجـوع إلى وزارة الدفاع للافطار، ومـن ثم متابعة الجولة الميدانية كان معنا امين العاصمة ومهندسـو الامانـة والاوقاف، وقد اندهشـت عندما أمر الزعيـم ببقائي معه دون الاخرين لمتابعـة جولته الليلية المعتـادة في بغـداد، واشار لي بالجلوس إلى جانبه في السيارة، استغرقت الجولة زهاء تسع ساعات متواصلة ابتدأت في الساعة السابعة لتنتهي في الرابعة فجرا .

وأتذكـر انـه كان شديـد الغضـب، عندمـا رأى منسـوب الامطـار وهي تغطـي بعضا من الجسـور تحت الانشاء في قناة الجيش، فأمر مرافقه بالاتصال بأمين العاصمة، وعنـد مخاطبته لأمـين العاصمة استغربت لأنه لم يذكر لـه ما شهدناه مـن واقع حال المكان ، قـال له روح اكشف مناطـق الجسور وقدم تقريرك حـول الوضع هذه كانت عبـارات الزعيم، واعتقـد كان يحاول دومـا ابقاء القرار إلى صاحـب الـرأي والمسؤوليـة ، وفعلا يبـدو ان امين العاصمة ادرك مبتغى المكالمة واتجه ليلا إلى الموقع، وتم سحب الماء ليلا وتجفيف الموقع بالكامل .

في السيارة كان الزعيم يحمل معه راديو ترانستر صغيراً يتنقـل بمؤشـره بين حين واخـر إلى الاذاعـات المختلفة ليستمـع اليهـا، ويسألنـي عـن أمـور تتعلـق بمشاريع الاعمار التي تدخـل ضمن اختصاصي الهندسي، خاصة مـا يتعلق بانشاء جسور قناة الجيش التي تساعد على تطويـر الاتصال، وبأساليـب هندسية جديدة حيث كنت المصمم لهذه الجسور عندما عملت مستشارا فنيا لمديرية الاوقاف العامة، وأنا أجيب عن استفساراته عرض علي فكرتـه في اسنـاد منصب وزاري لي، لكنـي اعتذرت عن قبـول ذلـك مقدما لـه تبريراتـي ان أكون وكيـل وزارة، وليـس وزيـرا، وذلـك ليكـون الاشـراف علـى المشاريع بمستوى عال اكثر من تولي المنصب الوزاري.

وفي الصباح صدرت الصحف المحلية وهي تحمل اخبار جولتـه الليلية تلـك، مع الاشـارة إلى ان مهندسـا مدنيا معروفـا قـد رافقه فيها، وكنـت المقصود بذلـك، ثم عادت الصحف في اليوم التالي لتنشر خبرا مفاده بان المهندس المدني المعروف، الذي سبق ان اشير اليه بأنه رافق عبد الكريم قاسم في جولته الليلية قبل يومين، مرشح لتولى منصب وزير الاسكان، حيث كانت النيـة متجهة يومها لاستحداث تلك الوزارة .

كان السيـد محمد حديد وزير المالية آنذاك قد اقترح على عبـد الكريم قاسم ترشيحي لتولي ذلـك المنصب، بعد ان عـرف برغبتـه في اسناد المنصـب إلى شخصيـة كردية، وسبـق ان عـرف بكفاءاتي مـن خلال زمالتـي للمهندس رفعة الجادرجي الذي كان والده كامل الجادرجي رئيسا للحـزب الوطنـي الديمقراطـي، وكان السيـد حديد احد ابرز قادة الحزب المذكور آنذاك.

### نصب الحرية

بعـد قيـام ثورة ١٤ تمـوز ١٩٥٨ اختمرت فكـرة انشاء نصب الحريـة في ساحة التحرير، ليجسد واقع الشعب العراقـي قبـل الثـورة وبعدهـا، وقـد وضـع المهندس المعمـاري رفعـة الجادرجـي التصاميـم المعمارية للنصب، مستلهما الفكرة من اللافتات التي يرفعها المتظاهـرون. وضعـت التصاميـم الانشائية لهذا العمـل الضخم، واشرفت على تنفيذه، اما المقاول فكان المهندس حسيب صالح وقد صمم المنحوتات البرونزية ونفذها الفنان جواد سليم .

يعد هذا العمل الضخم من اهم الاعمال في تاريخ النحت العراقـي والعربي، ثـم تقسيم الجدارية إلى ثـلاث اقسام قبل الثورة، يوم الثـورة، بعد الثورة، يستحضـر العمـل امجاد الماضـي وحضارتـه باسلوب معاصـر، وتظهـر الاهميـة الاستثنائية لموقـع النصب، حيث تتصـدر حديقة الامة. يمتد اللـوح المعلق خمسين مترا بارتفـاع ثمانية امتار عن مستوى الارض، وتعمل دعامتـان كبيرتـان، يمينـا ويسـارا علـى رفـع الجدار المعلق.

وقصة انشاء النصب لاتخلو من المفارقات، اذكر منها انه في المراحـل الاخيرة من العمل هبت رياح قوية ادت إلى هدم القالب الخشبي الذي كانت عملية ربطه قد استغرقت شهرا كاملا واتذكر انه في ليلة العاصفة، وعندما كلمني المهندس حسيب صالح هاتفيا، ذهبت مسرعا إلى موقع النصب ليلا، وقد تطلب الموقف مضاعفة الجهود لانشاء قالب خشبـي جديد، وتقوية اسس اعمـدة الركائز على طـول الجسـر المعلـق، لتأمـين تحمـل القالـب الخشبي للقـوى واذكر ايضا اننـي لم انم في الليلـة التي سبقت نهار فـك القالب، خشية عدم تحمل النصب لثقله الكبير، والجدير بالذكر ان هذا النصب قد حظى باهتمام الزعيم عبد الكـريم قاسم الذي كان حريصا علـى متابعة العمل شخصيا وفي فترات متعاقبة .

### نصب الجندي المجهول 1959

اقـترح المهندس المعماري رفعة الجادرجـي فكرة انشاء نصب للجنـدي المجهـول حيـث لم يكـن هنـاك نصب تـذكاري يخلـد تضحيـات الجنـدي العراقـي. وضعت التصاميم الانشائية لهذا النصب واشرفت على تنفيذه، الذي تأخر كثيرا عندما جرى تهديمه عام ١٩٨١ لانشاء نصب جديد في موقع اخر صممـه الفنان خالد الرحال، فـالى جانب شكل النصـب البسيط كان موقـع النصب متميـزا، حيث كنـت أقرأ شكل النصب كبوابة مفتوحة علـى امتداد شـارع السعدون وقـد كان المهندس حسيب صالـح المقاول الرئيسي والاسطـة عبد حسن العزاوي، مقاولا ثانويا.

كان نشاط العمل في الميدان مستمرا طول الليل من دون انقطاع حتى الفجـر احيانا وقد استعمل عقدان طرفيان وانشـئ الباقي من المنشأ كبلاطة لتحمل القوى وضغط الريـح كما استخدمت في تثبيت الرخام كلابات خاصة لتحمل ثقل القطعة .

افتتـح النصب خلال احتفـال اقيم في موقعـه بالعلوية حضره عبد الكـريم قاسم القائد العـام للقوات المسلحة رئيس الـوزراء والـوزراء، ووفـود الـدول العربيـة والاجنبية التي قدمت إلى بغداد للمشاركة في احتفالات ١٤ تمـوز ١٩٥٩ والقى رئيس لجنة احتفالات ١٤ تموز علي غالب عزيز كلمة بالمناسبة تضمنت الاشادة بجهود المهندسـين، ثم قـام عبد الكـريم قاسم فاقتبس لهبا من الشعلة التي جيئ بها من معسكر المنصور، وأوقد شعلة النصب التذكاري ايذانا بافتتاحه .

### قصة منارة جامع سوق الغزل

أتذكر في عهد الزعيم قاسم عام ١٩٦١ انه كلف د. محمد مكية بتصميم جامع يرتبـط بمنارة جامع سوق الغزل، الـذي تعود عمارتـه إلى زمن الخليفـة العباسي المكتفي باللـه، وقـد كان مكية مترددا في قبـول العرض، بحكم ضيق المـكان المحاط بالدكاكين وقلـة المبالغ المخصصة، وقد كنـت مستشارا لدائرة الاوقاف في حينها، فحاولت اقناعـه بقبـول العرض لانقـاذ الموقع بدلا مـن تحويله إلى دكاكـين وفعـلا تم اقناعه، وكتب مكيـة رسالة باسم الاوقـاف إلى الامانـة موضوعهـا منـع الامانـة من بيع قطـع الاراضـي المحيطة بالمنـاورة، وقد حـدث بعد ذلك الحصـول علـى موافقـة مديـر الاوقـاف بزيـادة المبلغ المخصص للمشروع.

***عن: مذكرات الدكتور احسان شيرزاد***

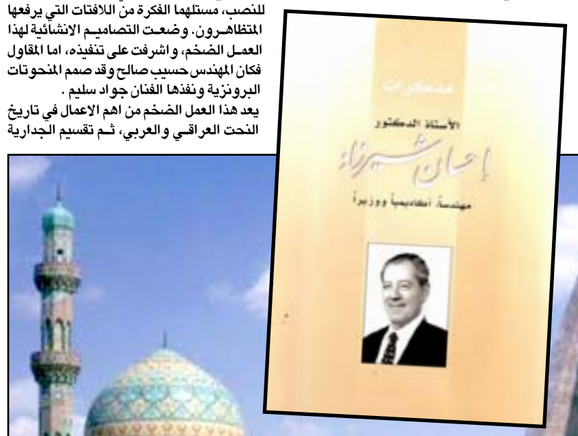


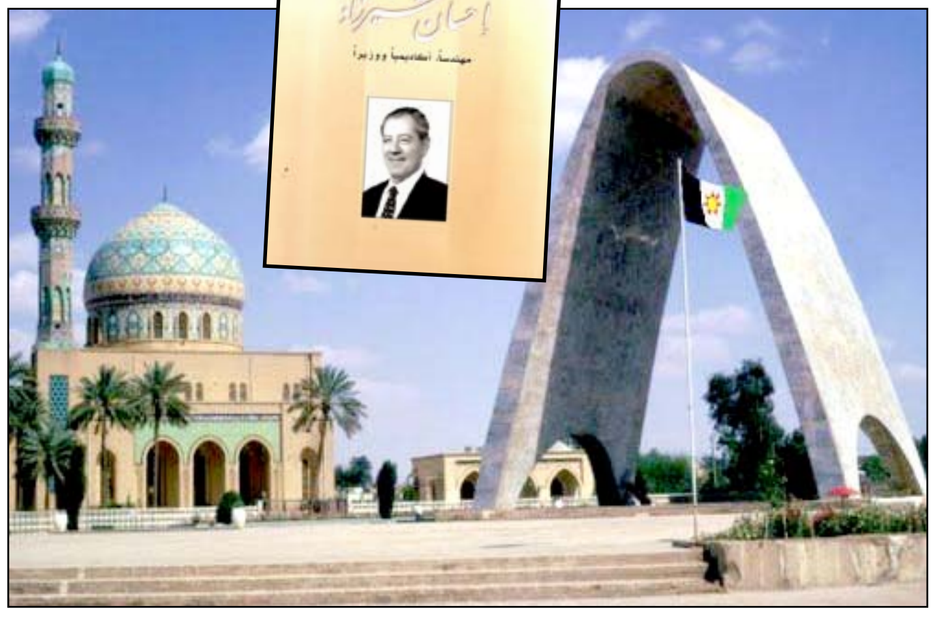

# أيام مصطفى جواد في الخالص .. ذكريات وطرائف

عاش مصطفى جواد فترة من حياته الأولى في مدينة الخالص " دلتاوه " وعلى وجه التحديد قبل ان يتجاوز العشرين من عمره ، فعلى الرغم من وجود اختلاف في تعيين سنة ولادته ، الا اننا نرجح سنة ١٩٠٤م فبالاضافة الى الاسباب التي ذكرها الدكتور البكاء ، والملاحظ ان تعيين سنوات أخرى لولاته ، تمت في أوقات متأخرة نسبياً ، وتوجد وثيقتان قديمتان تؤيدان ما ذهبنا اليه من ان ولادته كانت في سنة ١٩٠٤م.

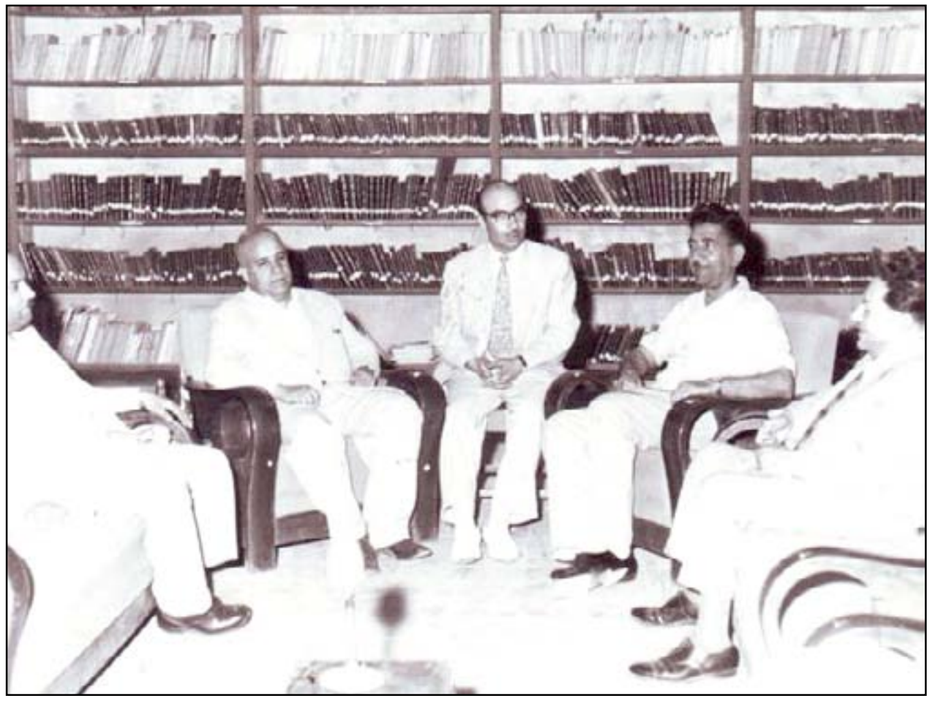

**رفعة عبد الرزاق محمد**

الأولى: مـا ذكـره الأب انستاس مـاري الكرملـي، صديقـه القديم في مجلته "لغـة العرب " من أنه ولد سنة ١٩٠٤م/ ١٣٢٢ه .

الثانية : ما ذكـره مصطفى جواد نفسه سنة ١٩٣٤م في رده على المرحوم الشيخ محمد سعيد الراوي ( ت ١٩٣٦م ) ، فقدذكر الراوي في ردوده الموسومة ( نقد في التاريخ ) ان مصطفى جواد لا يعرف خطط بغداد لأنه ليس منهـا ، فرد عليه جوادفي "جريدة الطريق " البغداديـة يوم ٩ تموز ١٩٣٤م مدافعا عن نفسه فقـال ان ورقـة جنسيتـه العثمانية تؤكـد ولادته في بغداد سنة ١٩٠٤م أي سنة ١٣٢٢ه الرومية التركية وبقينـا في بغداد سبع سنـوات ثم سافرنا مع والدنا الى دلتاوه .....

والمعروف ان والـد مصطفـى جـواد وهـو [ جـواد بـن مصطفى بـن ابراهيـم ] وأصله من قـره تبه في كركـوك ، كان يسكـن في محلة القشل ببغداد ، وانه كان خياطا ماهرا في سوق الخياطين ببغداد ، بل انه كان من أشهر خياطـي الجبب فيها ، وأصبح صُناعه – العاملون معه – من كبار الخياطين ، ويفتخرون بانهم تلامـذة الأسطـة جـواد ، وكـف بصـر والده الـذي ناهز عمـره على السبعـين ، فانقطع عن العمل وصـار يعول على حاصـلات بساتينه في الخالص ، والحاصلات كانت التمر وهو أرخص المحاصيل كما لا يخفـى . ويذكر المرحـوم فؤاد عباس ان بساتين الأسطـة جـواد كانت أكـثر من عشـرة بساتين ، وقد أشتراها استجابة لنصيحـة صديقه المرحوم عباس حبابة – والدِ المرحـوم فؤاد عباس – وأبتنى له في وسطهـا داراً له (أجوبـة للمرحوم فـؤاد عباس كان قـد اجاب بهـا سنـة ١٩٧٥م في مكتبـة الأستاذ علي الخاقاني) .

وقـد ذُكـر ان البساتـين لم تعـد مهمة لـدى مصطفى جواد عنـد انتقاله الى بغـداد ، واستقراره فيها فيما بعـد ، ولم يستفـد منها الا بعـد أربعين عـام ، عندما استملكتهـا الدولـة واقامـت علـى بعضهـا سـراي الخالص ، ويقـول المرحـوم جعفـر الخليلـي ان ما

وصـل مصطفى جواد من بيـع البساتين أربعة الأف دينار،أضافها الى ما تملكـه زوجته وأشترى بالمبلغ كله داراً في المنصور ببغداد.

أنتقـل مصطفـى جـواد مع أبيـه الى الخالص سنة ١٩١١م ودخـل كتاتيـب الملة صفية ، علـى الرغم من أنـه دخـل المدرسة الابتدائيـة ببغداد قبيـل انتقاله ، الا انـه سرعان ما تدارك أهله الأمـر وأدخل المدرسة الابتدائية في الخالص .

وفي الخالص توفـى والده ، ليبقـى في رعاية أخيه الكبـير المدعو كاظم والمقيـم في دار أبيه ، وتعلم في هذه الايـام الكثير من عادات المزارعـين وشمائلهم ، ويبـدو ان التصاقه بالخالص وبساتينها كان كبيراً ، ومـن ذكرياتـه الطريفـة في دلتـاوه التـي ذكرهـا لأصدقائـه ، أنـه تعلـم فيها صيـد الطيـور ، وابتكر نوعـا من المصائد التي لا تخطئ ، كما برع في تسلق النخيـل والنـزول منها على رأسـه كالثعبان ، وتعلم في الخالص التميز بين أنـواع التمور ومواصفاتها ، حتـى أنـه نظـم قصيـدة سماهـا "درر النحور في أوصـاف التمور " ، وأبتكـر الة مكونة من مروحتين هوائيتـين من صفائـح التنك نصبهـا في أعلى نخلة كانت موضـع رعاية أسرته لجـودة تمرها وندرته ، وتكفي النسمة الخفيفـة لتحريك المروحتين ، وبذلك تفر الطيور ولا تقترب من التمر.

لقـد بقيت ذكريـات الخالص حية في ذهـن مصطفى جـواد ، وعلى الرغم مـن قسوة الحيـاة التي عاشها في هـذه البلدة ، الا أنها كانـت موضع حبه وتقديره ، حتـى أنه فضل ان يلقب بالدليلتاوي في العشرينات القرن الماضي عندما ولج عالم البحث والكتابة ، وكان يحمل هذا اللقب حتى سفره الى باريس للدراسة .

وقـد ذكر – رحمـه الله – أنه عـاد الى بغداد وهو لم يزل في مدرسة دلتاوه ، بسبب خلاف بين أخيه كاظم ووالدتـه حول تركة والده ، فقد نقله أخيه الى بغداد وأدخلـه المدرسة الجعفرية ثم أنتقل الى مدرسة باب الشيـخ الابتدائيـة ( ذكـر جعفـر الخليلـي انه عمل في دلتـاوه راعيـا لاغنام تعود لصهـره ، الا ان أبناء عمومتـه في بغداد سمعوا بأمره ، وبعثوا بمن يأتي به الى بغداد ، وقد ذكر المرحوم ما يشبه هذه الرواية ( اجوبـة فـؤاد عباس ) ،وربمـا كان مصـدر رواية الخليلي هو فؤاد عباس نفسه ).

ثـم تـرك الدراسة مرة أخـرى والتحـق بوالدته بعد حصولهـا على حكم بالوصية على أبنها "مصطفى " وأكمل دراستـه الابتدائية في الخالص سنة ١٩٢٠م ، وعندمـا اندلعت الثـورة العراقية سنة ١٩٢٠م كان في الخالص ، فكتب مشاهداته وذكرياته عن حوادث الثـورة باسلـوب أدبـي ، وهـذا مـا نقدمـه في هذه الاوراق ، وفي السنـة التاليـة ١٩٢١م عاد الى بغداد ليدخـل دار المعلمين الابتدائية وتبـدأ شهرته الادبية بالظهور .

وقـد كتـب الدكتور مصطفـى جواد شيئـا عن حياته في الخالـص في سيـرة مختصـرة لـه فقـال : " وقد أصـاب العمى والـدي بسبب من الاسبـاب التي الى هـذه العاهـة ، فحسن له بعضـ أصدقائـه ان يقتني أمـلاكاً في ناحية دلتاوه المعروفـة اليوم بالخالص ، ويتعيش بها ... ونقلني والدي معه الى دلتاوه ، ولما بلغـت الدرس في الكتاتيب ، وكانت مختلطة الأطفال يجتمع فيهـا الابناء والبنـات ، فاسلمني والدي الى كتاب معلمة للقران الكريم تعرف بالملة صفية يجتمع فيهـا الابنـاء والبنـات ، بـدأت القـن القـران العزيز بعـد دراستي حـروف الهجاء على الاسلـوب القديم المعـروف ، ثـم نقلنـي والـدي الى مدرسـة دلتـاوه الابتدائيـة وكانـت تسمـى أيامئـذ باسـم " المكتب " واتذكـر من معلميها صـبري أفندي ، وكان كما يظهر من أحواله عاريـا من العلم ، وعبد المجيد الاعظمي ، وعليه تدربت على خط الرقعة الذي هو خطي المعتاد ، وجزت الصف الثاني الابتدائي بحسب نظام التعليم العثمـاني وانتقلـت الى الصـف الثالـث الابتدائي ، وشتاء تلك السنة دخل الجيش الانكليزي دلتاوه أي سنـة ١٩١٧م متعقباً الجيـش العثماني المنهزم نحو الشمال ، وقد مر الجيـش المذكور بالمدرسة لوقوعها علـى الطريق العام من المدينة بـل الناحية وكان ذلك اليوم أخر أيام دراستي في العصر العثماني.

## في ذكرى احتلال بغداد في 11 آذار 1917

# حقيقة بيان الجنرال مود الى اهالي بغداد

باسم وحيد الربيعي

عندما تمكنت القوات البريطانية من احتلال مدينة بغداد في ١١ آذار ١٩١٧بقيادة الجنرال ستانلي مود(S. MOOD) أتخذ البريطانيون أسلوباً يعتمد على التطمين المبني على الود تجاه العرب والمسلمين . حيث أصدرت وزارة الخارجية البريطانية اوامرها الى السير برسي كوكس بأعداد مسودة بيان لنشرها في بغداد.

وعلى أثر ذلك قام السير برسي كوكس بأعداد مسودة بيان وذلك في ١٨ آذار ١٩١٧، أكد فيها على إن بريطانيا تكن مشاعر ودية للغاية تجاه رجال الدين وسكان الاماكن المقدسة، وان القوات البريطانية ستعمل جاهدة على اتخاذ كافة التدابير والاحتياطات اللازمة للمحافظة على حرمة الاماكن المقدسة وحمايتها . فضلاً عن ذلك حماية كافة المراقد والمزارات المقدسة في جميع أنحاء العراق من أي ضرر خلال العمليات العسكرية.

ونتيجة للوضع الجديد الذي حصل بعد سيطرة القوات البريطانية المحتلة على مدينة بغداد، عملت هذه القوات على إهمال البيان السابق الذكر وتم اصدار اوامر الى الجنرال مود بأن يعلن للعراقيين إن القوات البريطانية جاءت الى العراق محررة وليست فاتحة. وقد أعدَّ بيان من قبل السير مارك سايكس(MARK SAYX) وتم ارساله من لندن الى بغداد

لقد استاء الجنرال مود من هذا البيان حيث عده غير ملائم من كل الوجوه إذ إنه سوف ينعش آمال العراقيين ويجعلهم يطالبون بالحرية والاستقلال، في وقت يجب أن تبقى فيه سلطة الجيش البريطاني في الاراضي المحتلة هي السائدة وغير متنازع عليها. غير إن الحكومة البريطانية أهملت هذا الاحتجاج ولم تستجب له. إذ وجه الجنرال مود بيانه للعراقيين في ١٩ آذار ١٩١٧.

وجاء في بيانه :

الغرض من معاركنا الحربية دحر العدو واخراجه من هذه الاصقاع واتماما لهذه المهمة وجهت الى السلطة العليا المطلقة على جميع الأطراف التي تحارب فيها جنودنا، إلا إن جيوشنا لم تدخل مدنكم وأراضيكم بمنزلة قاهرين بل بمنزلة محررين، فقد خضع مواطنوكم منذ أيام هولاكو لمظالم الغرباء، فتخريب قصوركم وتجريد حدائقكم ومعاناة اشخاصكم وأسلافكم الاستعباد. ولقد سيق أبناؤكم الى حرب لم تنشدوها وجردكم القوم الظلمة من ثروتكم وبددوها في أصقاع شاسعة.

ومما يلاحظ على بيان الجنرال مود، تركيزه المستمر على الماضي الأليم وخضوع العراقيين الى السيطرة المغولية منذ عهد هولاكو حيث وصفهم بأنهم كانوا عبيداً لهم، وان العرب قد ضحوا بالكثير من أشرافهم في سبيل انتزاع الحرية من أيدي العثمانيين، مذكرا إياهم بأنهم خضعوا لمدة ستة وعشرين جيلا سادها الشقاق الذي زرعه العثمانيين في سبيل مصلحتهم، وبين إن العثمانيين والالمان قد اتخذوا بغداد ولمدة عشرين عاما مركزا لمهاجمة نفوذ بريطانيا وحلفائها في ايران والبلاد العربية . وأشار البيان الى إن اطلاق كلمة اصلاحات على الاعمال البسيطة التي قام بها مدحت باشا هي باطلة وبدون جدوى تذكر.

وقد علل البيان بأن الغرض من المعارك الحربية في العراق هو دحر العدو (العثمانيين) واخراجهم من العراق، وان القوات البريطانية لم تدخل للعراق فاتحة وإنما محررة.

وأضاف البيان عزم بريطانيا والامم المتحالفة معها على أن تسمو الامة العربية من جديد عظمة وضياءً وأن تسعى وراء هذه الغاية بالاتحاد والوئام، وتلك هي أمنية جالسة ملك بريطانيا والدول العظمى المتحالفة معها .

وأشار البيان الى انه يجب على العرب أن لا يظنوا بأن بريطانيا تسعى لفرض أنظمة أجنبية عليهم وإنما تعمل جاهدة ضد سياسة التفرقة والشقاق).

لقد عرج البيان على الشريف (حسين بن علي) الذي استطاع طرد العثمانيين من الجزيرة العربية بالتعاون مع عرب الجزيرة وبالأخص الحجاز، وهو الآن حليف الأمم المحاربة ضد الدولة العثمانية والمانيا، ويحكم بالاستقلال والحرية، واشار الى إن هناك عربا أخرين في الجزيرة هم حلفاء لبريطانيا من أمراء نجد وعسير، كما أشار البيان الى إن هناك روابط تجارية ومصالح متبادلة ما بين العرب وبريطانيا منذ (مائتي سنة). وان بريطانيا تبذل أقصى جهدها من أجل الاهتمام بحرفكم التجارية، وتأمينكم من الظلم والجور العثماني) .

وقد دعا البيان المواطنين العراقيين الى المشاركة في إدارة مصالحهم الملكية بواسطة أشرافهم وكبار السن، من أجل معاضدة ممثلي بريطانيا السياسيين المرافقين للجيش بالإنضمام الى أبناء جلدتهم شمالا وجنوبا شرقا وغربا لتحقيق طموحهم القومي.

في حين نرى ان الادارة البريطانية مارست سياسة عسكرية تجاه العراقيين خلال سنوات الحرب العالمية الاولى، فقد فرضت حصارا شمل جميع المناطق لكنه تركز على أهالي بغداد .

ففي الاول من أيلول ١٩١٧ أصدر القائد العسكري الجنرال مود بيانا أخر جدد فيه واجبات يجب أتباعها من أهالي بغداد، مشيرا الى إن القوات العثمانية قد اندحرت من جميع المناطق باستثناء الموصل ولقد تم استبدال تلك الحكومة بسلطة القائد العام في تولية أمرة قيادة القوات البريطانية، وبيّن الجنرال مود في بيانه بأن هناك جماعة من أهالي بغداد يجهلون ما عليهم من التزامات تجاه القوات البريطانية مما يؤثر على سمعتهم، وأشار البيان الى إن السكان المسالمين يتمتعون بحريتهم بشكل كامل في متابعة أعمالهم ووظائفهم الاعتيادية طالما يكون ذلك متلائما مع الضرورات العسكرية لجيش الاحتلال البريطاني، وأضاف البيان بأنه يجب على العراقيين أن يكونوا طوعا للمسؤولين البريطانيين وأن لا يشاركوا في الأعمال العدائية ضدهم.

كما حدد البيان عدة أعمال تعد ضارة لأمن القوات البريطانية وفعالياتها محذرا المواطنين من الوقوع فيها، وأشار الى منع حمل السلاح أو امتلاكه إلا بموافقة القوات المسلحة في أي منطقة تجري فيها الفعاليات العسكرية في كل من مدينة بغداد ونواحيها والبصرة ونواحيها، وحذر البيان من تزويد أو نقل المعلومات مهما كان نوعها الى القوات العثمانية، أو حمل الرسائل بين العدو والاشخاص الموجودين في المنطقة المحتلة. وحذر كذلك من تدمير الآلات الحربية ووسائل الاتصال مثل سكك الحديد والتلغراف والوسائل الاخرى بأي طريقة كانت، ومن التآمر على الجيش البريطاني أو أي عضوا فيه أو ضد الحكومة البريطانية، وشدد العقوبة على كل من يضلل القوات العسكرية عمداً ويرشدهم الى جهة مغايرة ومن يقدم العون للقوات العثمانية كتسهيل عملياتها ضد القوات البريطانية أو من يعمل لدى العثمانيين كمرشد أو تزويدهم بالامدادات والاموال وتوفير المأوى لهم .

وفي ٢ تشرين الثاني ١٩١٨ كشف القائد العام للقوات البريطانية في العراق الجنرال وليم ريمن مارشال(MARSHAL) في خطابه الذي القاه، اثناء الاحتفال الذي أقيم في بغداد لمساعدة جمعية الصليب الاحمر، عن مدى المعاناة التي عاشها أهالي بغداد والضغط النفسي الذي مرَّ به البغداديون جراء سياسة الحكومة العسكرية تجاههم، وعبر في خطابه عن حسن نوايا بريطانيا تجاه العراقيون وانها سوف تقوم بتحقيق ما يصبو اليه العراقيون.

***عن: رسالة (بيانات واعلانات الادارة البريطانية في العراق 1914-1921)***

وسط حديقة جميلة في مدينة الكاظمية المقدسة ينتصب تمثال شامخ يحكي شموخ صاحبه. رأس مرفوع كالنخل، جبين واسع كالضفاف يكاد يشف عما يكتنفه من إباء، عينان كبيرتان توحيان للناظر بذلك النقاء وصدق السريرة، إنه تمثال الشاعر الكبير الشيخ عبد المحسن الكاظمي شاعر الفطرة والارتجال والوراثة، إذ إنه يتصل بنسبه من جهة الأم بشاعر الطالبيين الشريف الرضي فورث عنه ملامح من شعره واخلاقه وإبائه.

# عبد المحسن الكاظمي شاعر الارتجال

منذر الخفاجي

ولد أبو المكارم عبد المحسن بن محمد بن علي بن المحسن بن محمد بن صالح بن علي بن الهادي النخعي في مدينة الكاظمية المقدسة في محلة التل على مقربة من مرقد الامامين الجوادين (ع) وذلك ليلة النصف من شعبان ١٢٨٢هـ- ١٨٦٥م وكانت أسرته من الاسر الميسورة التي عرفت بالمجد والغنى فكان جده الاكبر الحاج محسن من كبار التجار وكان يؤمه الفقراء يلتمسون معروفه ثم خلفه في مكانه الحاج علي جد شاعرنا ولكن هذه الاسرة مالبثت ان اضطربت امورها المادية فعوضت التجارة والغنى بالادب والعلم فنهض بها افذاذ العلماء والأدباء فقد انجب الحاج محمد ابن الحاج علي ثلاثة أولاد هم الشيخ محمد حسين الذي كان من مؤسسي النهضة الادبية في مدينة الكاظمية والشيخ احمد الذي كان شاعرا مطبوعا ملما بأشعار العرب يقول عنه الشيخ محمد رضا اسد الله: (ان الشيخ احمد كان يحفظ ديوان الحماسة كله وشعر أخيه عبد المحسن وجل اشعار العرب) أما ثالث اولاد الحاج محمد فهو شاعرنا الذي فاق اخويه علما وأدبا.

درج عبد المحسن بين بيئات الادب وحلقات الادباء ودرس العلوم الاسلامية كما اطلع على الآداب الفارسية، وقد استفاد الكاظمي من خزائن مكتبات الكاظمية فنهل من كتاب الجمهرة والعين كما استوعب الكثير من كتب اللغة فنشأ شاعرا مجيداً ولغويا كبيرا، يقول عنه السيد عز الدين آل ياسين: (كان يملي شعره عن طبع وأفق، ووحي حاضر وبديهة مستعدة وروح قوية وقريحة متحفزة وله في الشعر نفس طويل يعود الى كثرة ما كان مختزنا في حافظته من شعر العرب) وقيل ان هذه الحافظة تسع ما يربو على الاثني عشر الف بيت من اشعار العرب.

نزح الكاظمي عن بغداد بعد مطاردة المحتلين له وبعد ان اضطر اهله الى رمي جميع ما انتجه من شعر في نهر دجلة خشية وقوع شاعرهم تحت طائلة السلطات، فغادر العراق الى الهند ثم استقر به المقام في مصر وقد عرفته مصر شاعرا جزل التعبير مبتكر الاسلوب سريع البديهة عبقري الارتجال كما عرفته مثالاً لحسن الخلق أبياً عفيفاً يفصح شعره عن شرفه العريق ونسبه الرفيع:

لو على قدر همتي واعتزامي صال نطقي بلغت كل مرامي
همّة ترهق النجوم وعزم ضارب في الجبال والآكام
وإبائي يرى من الضيم ان يحمل في الدهر منة للغمام

كان شاعرنا شديد التعلق بعقيدته متمسكا بدينه وحبه لأهل البيت "ع" فقال معبرا عن حبه وحنينه لزيارة مرقد الامام علي "ع" وهو في مصر:

كن غديري يا بدران تم لي العذر وابدي مناك ليل التمام
واحمل الروح للامام فجسمي حيل ما بينه وبين الامام

عرف شاعرنا بارتجاله الشعر في غاية الروعة والاجادة وحسن التركيب وشعره المرتجل مهما طال وكثر فهو يتدفق حلاوة وسلاسة فكان يرتجل ما يربو على مائة البيت يقول محمد مهدي الجواهري: (إن أهم الميزات التي تتجلى في حياة الكاظمي وفي شعره ايضا – وهو صورة صادقة عن حياته – كونه مرآة صافية لجيله ومجتمعه، وعلى غير هذا القياس يصعب في رأيي المقارنة بينه وبين شعراء العراق والآخرين حتى من الذين عاصروه كالزهاوي والرصافي والشبيبي والشرقي وهنالك ميزة ثانية هو كون شعر الكاظمي ذخيرة من ذخائر اللغة العربية النقية ومفرداتها الجميلة) ونرى هذه اللغة النقية مع صدق العاطفة وقوة السبك تتجلى في كل شعره ولنستمع اليه في هذه الأبيات الرائعة:

أجيراننا بمغاني الحمى ومن أين مني جيرانيه
سروا يخبطون الدجى والحشا على أثر آثارهم سارية
امامهم القلب جار لهم وعيناي خلفهم جاريه

كما يدل شعره على اجادته لمختلف أغراض الشعر وهذه الابيات في الرثاء:

صروف الدهر أهونها اشدّ اذا نزل القضاء فلا مردُّ
أجل الرزء ما ترك البرايا تروح على مرارته وتغدو
وأدهى الخطب ما جلب الرزايا ولم يحسس له برق ورعدُ

وهذه في الدهر:

أرأيت كيف الدهر ينتقلُ بالمالكين وكيف يقتبلُ
ما الدهر الا دولة خضعت لقضائها الاملاك والدول
ما شاء أو شاءت رغائبه لاما تشاء البيض والاسلُ

خلف الكاظمي ديوانا كبيراً بمجلدين احتوى على ١٧٥ قصيدة ضمت ٨٦١٨ بيتا كلها من الشعر الرائق الجزل قال عنه الدكتور مصطفى جواد المحقق المشهور: (ان قصيدته التي مطلعها:

الى كم تجيل الطرف والدار بلقع اما شغلت عينيك بالجزع أدمعُ

تصلح لأن تكون (المعلقة الثامنة) في اسلوبها وفصاحتها وطرازها البدوي وصحة معانيها و قوة مبانيها)، وصدق مصطفى جواد فقد جمعت هذه القصيدة من معاني البلاغة ما يجعلها اعجوبة في وقتها وهي قصيدة طويلة يقول الكاظمي فيها:

أأنت معيري عبرة كلما دنت يحفزها برج الغرام فتسرعُ
وهل عريت أرضٌ كسوت أديمها بماء شؤوني فهي زهراء ممرعُ
فمن حرّ أنفاسي وفيض محاجري مصيف تراءى في ثراها ومربعُ
ألم تر جرعاء الحمى كيف روّضت وسال بمحمر الشقائق أجرعُ
فهاتيك من دمعي وهاذاك من دمي فللعين ذا مبكى وللقلب مجزعُ

أما توفيق البكري فقد قرنه بالشريف الرضي ومهيار الديلمي بقوله:

الكاظمي ثالث اثنين الشريف الرضي ومهيار الديلمي) وكتب عجاج نويهض في جريدة الزمان ١٩٦١ قائلا):

"شعر الكاظمي جزء حيوي من تراث النضال العربيُ هو شعر كالذهب لا يفقد قيمته ابداً على اختلاف الايام" لقد كان الكاظمي مدرسة في الشعر، مدرسة من اجمل مدارس الشعر العربي وأجودها بقيت تزخر بعطائها فكانت مرآة لروح الامة ونبراساً لها وروضة تجد فيه العطر العبق الذي ينعتها:

نحن قوم اذا شهدنا الهياجي بهر الموت يومُنا المشهودُ
نحن قوم العلا الألى إن يهموا لم تعقهم تهائم ونجودُ
حلفوا للعلا فإما قيام ترتضيه العلا وإما قعودُ
ومشوا للردى فإما صبور يقف الموت عنده أو صعود
واذا لم يكن سوى الموت ورد دون نيل المنى فنعم الورود

***ذاكرة عراقية : كنا قد نشرنا هذا الموضوع في ملحقنا سنة 2015، وقد تبين انه منقول عن مقال للاستاذ منذر الخفاجي الذي نعيد نشر المقال باسمه، فمعذرة للكاتب والقارىء الكريم..***

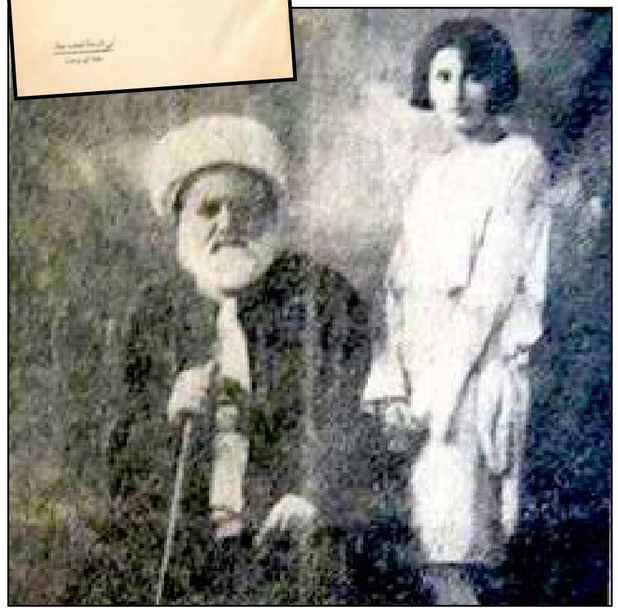

# المطرب العراقي المنسي داود العاني

في تاريخ الغناء العراقي الكثير من المحطات المنسية ، وقد دأب العراقيون على نسيان من كانوا ملأ العين والاذن ، ولا يذكروهم الا لماما او في مناسبات طارئة ، والقائمة تطول .. ولكن هل تذكرتم صاحب اغنية : احبه واطيعة ، التي كنا نرددها بكل ود وفرح ؟ داود العاني الذي كنا نسميه العندليب العراقي تيمنا بالعندليب الاسمر عبد الحليم حافظ اود ان انقل لكم في هذه الاضمامة بعض ما قيل عنه ؟

سلام نوري الربيعي

يقول الاستاذ خالد جبر مستذكرا العاني:
أحببت المطرب الفنان دواد العاني منذ صباي وكنت متابعا لأخباره الفنية واغنياته الجميلة وقد يكون هذا الاعجاب هو ما دفعني في شتاء عام ١٩٦١ الى الاستماع بشغف عبر المذياع الى لقاء اجراه معه المذيع المعروف مال الله الخشاب ، تحدث فيه عن حكاية اول اغنية له وهي اغنية (احبه واطيعه) حيث قال : بعد نجاحي في برنامج ركن الهواة والذي كان يعده ويقدمه الفنان كمال عاكف تم اعطائي كلمات اغنية (احبه واطيعه) وهو ما يعد فرصة كبيرة وقتها،وحفظت اللحن بدقة وانا سعيد جداً بأني سأصبح مطرباً معروفاً متشوقا ليوم الخميس المحدد لتسجيل الاغنية.. ولكن في منتصف ليلة الاربعاء توفي اخي الكبير رحمه الله وتحول بيتنا الى حزن وبكاء ونواح وكنت معهم من الباكين وعندما الصباح حل وجاءت معه حيرتي .. هل ساذهب لتسجيل الاغنية؟ ام ابقى في موكب العزاء وتذهب مني فرصة العمر الذهبية التي عشت انتظرها..كانت لحظات صراع صعبة جدا واخيراً قررت ان اذهب خلسة لتسجيل الإغنية بعد ان تركت العزاء وفعلا وجدت الفرقة الموسيقية والمخرج وأديت الاغنية بصوت حزين والدموع تتساقط من عيني وظن المخرج والموسيقيون انني ابكي على كلمات الاغنية لانهم لم يكونوا يعلمون انني ابكي على اخي الذي توفاه الله. بقيت هذه الحكاية في ذهني كما ذكرت عام ١٩٦١. وتشاء الصدفة ان التقي هذا الفنان الكبير عام ١٩٩٢ في كافيتريا دائرة الاذاعة والتلفزيون وكانت فرصة لأن استعيد معه حكاية اغنية (احبه واطيعه) فسردها لي مثلما تحدث بها عام ١٩٦١ وكان صادقاً صدوقاً ولم يضف كلمة واحدة مما جعلني احبه كثيراً ، وبعدها كثرت لقاءاتنا وفي احدى المرات سألته عن اعتزاله الغناء وهو صاحب الصوت الرائع فأجابني : تم منع عرض اغنياتي في الاذاعة والتلفزيون لانني غنيت اغنية عن الزعيم عبد الكريم قاسم وعند قيام مؤامرة ٨ شباط ١٩٦٣ تم اعتقالي من قبل الحرس القومي ، وهذا الاعتقال سبب لي كثيراً من الاحباط كما انا الان لا استطيع ان اشارك مع المجاميع التي تنشد : (من عمرنا على عمرك ياصدام) (ويا حوم اتبع لو جرينا) (ويمة البارود من اشتمه ريحة هيل) فانا كنت وما زلت محسوبا على الزعيم عبد الكريم قاسم..وبعد فترة من الزمن، وفي احدى لقاءاتنا ، طلبت منه شريطاً صوتيا لاغنياته النادرة لانها غير موجودة في التسجيلات ووعدني قائلا : عند لقائنا في الاسبوع القادم سوف اهديك شريطا مع صورتي الشخصية الملونة.. وفعلا فرحت بهذه الهدية وجاء الاسبوع ولكنه لم يأت ورحت التمس الاعذار لتأخره واتخيل انه ربما كان مشغولا ولكنني بعد ساعة من الانتظار شاهدت عامل الديكور يحمل لافتة سوداء فيها بخط عريض (انتقل أمس الفنان داود العاني الى رحمة الله) ووقفت أمام تلك اللافتة لأذرف الدموع على فنان عراقي كبير عاش بصمت ومات بصمت .

ويذكر الاستاذ عبد اللطيف المعاضيدي:
قلت خدماته الى فرقة الرشيد التي اصبحت الفرقة القومية للفنون الشعبية مع زملائه الاخرين، عبدالرحمن خضر، سعدي الحلي، جبار عكار، رحمهم الله جميعا.وبقى في هذه الفرقة تقريبا بلا عمل وبقى صامتا هادئا لا يُطالب ولا يطالب كان توجهه وانصرافه الى عائلته واولاده يؤدي الفرائض الدينية ولم يطالب بسفرات وايفادات مع الفرقة القومية التي كانت تجوب العالم واخيرا تم الاستغناء عنه في الفرقة مع زملائه سعدي الحلي وجبار عكار حيث تم نقلهم الى استعلامات الدائرة وكانوا يتقاسمون الوجبات (وجبات العمل) في الصباح حتى العاشرة ليلا اي ان استعلامات دائرة السينما والمسرح كان يديرها فنانون معروفون جماهيريا ولا ادري سبب وضع هؤلاء بهذا الموقع وهذه الواجهة.

يوم ٢٠١٠/١١/١٠ التقيت السيدة ام محمد زوجة المرحوم داود العاني في نقابة الفنانين وحدثتني عن آخر يوم في حياة الفنان قائلة: كنا ننام داخل البيت وينام المرحوم في سطح الدار لإصابته بداء الربو نزل الساعة ٥,٠٠ صباحا وكان مجهدا للغاية وقد ضاق صدره وطلب الدواء المعتاد وعند جلب الدواء وهي حبة مع قدح ماء. قال لي لا يمكنني بلع الحبة وشرب الماء لأني احس بان كل حواسي شلت عندها نلقناه للمستشفى وكنا نعتقد بانه قد اغميّ عليه كما يحدث كل مرة ولكن نتيجة الفحص تبين بانه فارق الحياة. رحم الله ابو محمد داود سلمان عبداللطيف العاني صاحب الخلق الكريم والنفس المهذبة.

ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون

رئيس مجلس الادارة رئيس التحرير
فخري كريم

العدد (4632) السنة السابعة عشرة
الاثنين (16) آذار 2020
www.almadasupplements.com

رئيس التحرير التنفيذي: علي حسين
سكرتير التحرير: رفعة عبد الرزاق
الاخراج الفني: حيدر الكواز

طبعت بمطابع مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون